Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

إلاَّ أن هذا الأمر لا يشكل التعارضَ الذي ينالُ من اهتمامنا: فالتعارض الآنف ظاهِرُ الحدسيَّة، وعلى هذا الأساسِ يسعنا أَنْ ننشىء، كذلك، نمذجيَّات أَدقَّ فأدق. فما يهمنا، بالأحرى، هو تعارض آخر، قائم بين الحكاياتِ المفتوحة والحكاياتِ المنغلقة. وليكُنْ معلوماً، أننا نسِمُ بالمثالية، ههنا، نموذجيين نظريين. إذ من الجليّ أن أية حكاية لن تكون منفتحة تماماً، ولا منغلقة تماماً، وأنه قد يتسنَّى لنا أو يتوجَّب علينا أَنْ نقيم نوعاً من التتابع المتدرَّج حيث يمكن تعيين الحكايا المختلفة، كلٍ في الموقع الذي يعود لها ـ أقله من حيث أنواعها.

إنّ الرسم البيانيّ (أ) إذ يمثِّل نموذجاً من حكاية منغلقة، فإن الرسم البياني (ب) يمثّل بدورِه، وبشكل تقريبي، حكاية منفتحة:

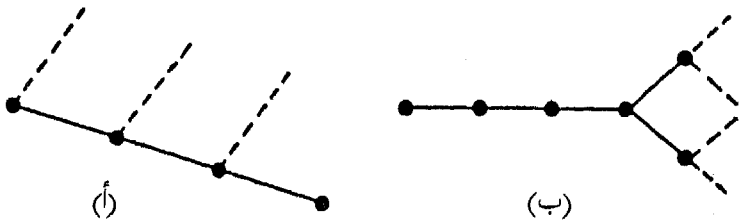

في حالة الرسم البياني (أ) نكونُ في موقف مماثل للموقف الذي يلجأ إليه القارىء إذ يستعين بدليل الشطرنج الذي سبق أن تحدثنا عنه في ٧ـ ٢. لدى كُلّ فاصلة احتمالٍ، يسع القارىء أن يجازفَ بطرح فرضيات مختلفة، ولا يستبعد ههنا أن ترشدَهُ البُنَى الحكائية، بصورة خبيثة، إلى الفرضيات الجديرة بالتنحية: ولكنَّ الواضحَ في الأمر أنه لن يكون ثمة إلاّ فرضية جيدة واحدة، فحسب. فالحكاية، بقدر ما تتحقّق وتنتظم على امتدادِ محورها الزمني، تتثبَّتُ من التوقّعات، وتستبعد منها ما لا يتلاءم مع حالة الأمور التي شاءت التحدث عنها؛ وفي خاتمة الأمر، قد تخطُّ الحكاية نوعاً من الخَطّ الكونيّ المتواصل حيث (في حدودِ العالم الذي بناهُ السرد) ما حَصَل هو الحاصِل، وما لم يحصَلْ لَنْ تكون لَهُ أهمية (أما القارىء المتغافِل فما لَهُ سوى أَنْ يعضَّ الأصابع ندماً وجهلاً، إذ يروح يقرأ ويعيد قراءة أجزاء النص قراءة خاطفة وسريعة، ويقول: «ومع ذلك، كان ينبغي لي أنْ أفهمه!» على نحو ما قد يقولُهُ امرؤ